

د. صلاح الدين النكدلي

ثلاث رسائل

الجموعة الثانية

- الدعاة وإصلاح العقيدة
- درس في البراء والولاء
- مسائل .. تحتاج إلى مراجعة

الدار الإسلامية للاعلام

الطبعة الأولى

صفر ١٤١٤ للهجرة / آب - أغسطس ١٩٩٣ م

حقوق الطبع محفوظة للدار الإسلامية للإعلام

بون - ألمانيا

I.I.D · P. O. Box 120 263

41720 Viersen · Germany ألمانيا

الفهرست

الرسالة الأولى :

الدعاة وإصلاح العقيدة ٧

الرسالة الثانية :

درس في البراء والولاء ١٧

الرسالة الثالثة :

مسائل .. تحتاج إلى مراجعة ١٣

- استقلال الموقف الإسلامي
- من صاحب القرار في العمل؟!
- التسرع مرتعه وخيم
- الإسلاميون والرأسماليون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

عزيزي القاريء ..

أضع بين يديك المجموعة الثانية من سلسلة «ثلاث رسائل» ..
آملًا منك أن تقرأها بهدوء وتمعن .. لأنها تتناول قضية «العقيدة»
من حيث مدلولاتها، وتفاعل فصائل الحركة الإسلامية معها ..
وقد حرصت على ذكر أمثلة من واقع الحركة الإسلامية
المعاصرة .. وبخاصة التجارب التي تتعلق بـ «البراء والولاء»
وبوجوب «استقلالية العمل الإسلامي وتميزه» في عالم رهيب ،
تشابك فيه الخيوط ، وتكثر العثرات ..

والاستقامة على العقيدة في عالم اليوم لا تتحقق إلا بضبط منهج
فهم الإسلام .. وضبط طريقة التعامل مع الواقع البشري بثوابته

ومتغيراته . . وعملية الضبط يجب أن ينهض بها الرواد والقادة . .
وعلى غيرهم واجب الأخذ عن أهل الذكر القادرين على قيادة
سفينة الدعوة في هذا العصر . .
أسأل الله عز وجل أن يبصر الدعاة بمواقع أقدامهم ، وأن يسدد
خطاهم ، وأن ييسرهم لليسرى .
والله أكبر والعاقبة للمتقين

الدعاة وإصلاح العقيدة

ترمي الجماعات الإسلامية المعاصرة إلى تغيير الواقع الفاسد الذي يخيم في ربوع العالم الإسلامي، وذلك بإقامة الحياة الإسلامية على مستوى الفرد والأمة، وهذا يحقق أمرين:

١ - وجود بيئة صالحة تساعد الفرد والمجتمع على الاستقامة والتطهر.

٢ - وعمارة الأرض بحضارة بانية يتفياً ظلالها المسلمون وغير المسلمين.

والمدقق في سبب اختلاف الجماعات وتعددتها، يرى بوضوح أن منهج العمل الذي تتبعه كل جماعة من أجل تغيير الواقع هو مصدر التباين والاختلاف، ويرى المراقب أيضاً أن أكثر العاملين

متفقون على «مصطلحات» يستخدمونها . . ولكن المشكلة تكمن في تحديد معاني المصطلحات عند كل جماعة في ميدان الاختيار والقرار والعمل .

ويعتبر مصطلح «العقيدة» أبرز مصطلح تتعدد فيه الآراء عند التطبيق . . على الرغم من اتفاق الجميع على أن إصلاح العقيدة أصل كل صلاح . . فما السبب في ذلك يا ترى؟!

إن رصد تاريخ استعمال مصطلح «العقيدة» وتطور المعاني التي اكتسبها من خلال الزمن ضروري ، لأنه يساعدنا في تحديد مجالات الاهتمام عندما نتحرك في الدعوة إلى الله عز وجل . . ، وسأكتفي برسم صورة عامة في خطوط كبرى تساعدنا في طرح ما نرى ضرورة الالتفات إليه ونحن نمارس عملية التغيير .



إذا اعتبرنا مصطلح «العقيدة» مرادفاً لمصطلح «الإيمان» فإن معناه: «التصديق القلبي بأن جميع ما جاءنا به نبينا ﷺ في الوحيين: القرآن والسنة، حق، وأن ما عداه باطل» ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال؟﴾ ، وهذا الإيمان - كما يقرر علماء أهل السنة

والجماعة - : «تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان» .
وثمره هذا الإيمان : تزويد الإنسان بالغاية من وجوده ، وبدوره في
هذه الحياة ، وبالمنهج الذي ينبغي أن يتبعه ويحقق به غاية وجوده .
وبهذا أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام . يقول عز من
قائل : ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا
فاعبدون﴾ .

ولقد كان الرعيل الأول - جيل الصحابة - عظيم الإيمان ، عاملاً
بمقتضياته بكل ما أوتي من قوة ، ثم بدأ الضعف في العمل يدب
في حياة جيل التابعين ، وكان التقصير محصوراً في أمور لا تمس
الفرائض الكبرى ، كما أن المخالفة للأوامر لم تصل إلى كبائر
الإثم والفواحش . عن أنس رضي الله عنه قال : «إنكم لتعملون
أعمالاً هي أدق من الشعر في أعينكم كنا نعلها على عهد رسول
الله ﷺ من الموبقات» رواه البخاري وقال : «الموبقات» :
المهلكات .

وباستمرار خط الانحراف في سيره . . برزت ظاهرة التقصير في
الفرائض وتجاوز الحدود ، وظهر في الأمة فكر يعلل هذه الظاهرة ،

ويقوم تعليله على فصل «العمل» عن مسمى «الإيمان» . . . وكان هذا بداية فكر «المرجئة» الذين أبرزوا نصوص «الوعد» بالجنة لأهل الإيمان، واستوى عندهم من عمل الصالحات ومن أسرف على نفسه!! .

وظهر في المسلمين ردّان على ظاهرة الإرجاء:
أحدهما: شاذ رفضه علماء الأمة، يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: «والمعتزلة، وسلفهم «الخوارج» أخذوا آيات الوعيد عامة، فسووا بين معصية الشرك وما دونها. قال البخاري: «وكان ابن عمر يرى أن الخوارج شرار خلق الله، ويقول: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين» .
والرد الآخر كان رأي أهل السنة والجماعة، وقد برز من خلال ردهم على «المرجئة» مصطلحان، هما: «توحيد الربوبية» و«توحيد الألوهية»، وتركز رد أهل السنة والجماعة على إبراز المعاني الآتية:
إن توحيد الربوبية لا يكفي وحده في صحة الإيمان، لأن هذا «التوحيد» قد يعترف به غير المسلمين، يقول الله عز وجل في حق

الكفار: ﴿ولئن سألتهم: من خلق السموات والأرض؟ ليقولن: خلقهن العزيز العليم﴾ (الزخرف: ٤٣) وهذا النوع من الإيمان لا ينجي العبد إلا إذا أخذ معناه الموحى به من عند الله، وأضيف إليه أيضاً «توحيد الألوهية» الذي يقرر أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن رحمة الله قريب من المحسنين. وقد كان إمام التابعين الحسن البصري رحمه الله تعالى من أوائل المتصدين لفكر المرجئة، روى الطبراني عنه أنه قال: إن قوماً ألهمهم أمانتي المغفرة، ورجاء الرحمة، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة. يقول أحدهم: إني لحسن الظن بالله، وأرجو رحمة الله، وكذب، لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك»

ثم مرت الأيام . . وإذ بقضايا جديدة تسربت إلى فكر كثير ممن ينتسبون إلى العلم، وهذه القضايا طرحتها الفلسفة الإغريقية حين احتك المسلمون بأهلها، وخاصة بعد ترجمة كتب من الثقافة

اليونانية إلى العربية . . وبرزت ظاهرة العلاقة بين «العقل» و«النقل» أي: مقررات العقل البشري «الفلسفة الإغريقية»، ومقررات الوحي «القرآن والسنة» . وكانت أسماء الله تعالى الحسنى ، وصفاته العليا، من أهم المسائل التي احتل فهمها نتيجة تحكيم مقررات الفلسفة بالنص القرآني والحديث النبوي، وإذ بعقيدة المسلمين تعرض بمصطلحات الفلسفة، وإذ بمقاييس الفلسفة ومعاييرها تحكم على النصوص وتحدد معانيها، ونتيجة لذلك ظهر في الفكر الإسلامي «تأويل آيات الأسماء والصفات» الواردة في القرآن، وفي السنة المتواترة، وأما ما ورد في حديث الصحيح من أمور اعتقادية فردوه بدعوى ظنية ثبوتية، وهو ما عبروا عنه بـ «حديث الأحاد»!! .

حين برزت هذه الظاهرة الخطيرة . . نهضت الطائفة الظاهرة على الحق منكرة طريقة «علم الكلام» في تقرير الحقائق الاعتقادية، وظهر حينئذ مصطلح «توحيد الأسماء والصفات» وخلاصته: يجب أن نؤمن بما وصف الله تعالى به نفسه، وما وصفه به رسوله ﷺ في الوحيين: القرآن والسنة - من غير تفريق بين سنة متواترة وسنة آحاد - ولا يجوز تأويل الأسماء والصفات أو تعطيلها

بحجة التنزيه ولا يجوز تمثيلها . فالله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

وتزامن مع ظهور فكر المرجئة وفكر المتفلسفة . . ظهور الفكر الصوفي وامتزج بالفلسفة وكان له أثره في مجالات كثيرة ، ونشير هنا إلى ما أحدثه هذا الفكر من عبادات ، وما اعتمده من رياضات ، فهب المخلصون من العلماء يبينون أن من التوحيد «توحيد الاتباع» فما جاء في الوحيين يتقرب به العبد إلى الله تعالى ، وما لم يأت فيهما هو البدعة ، وشر أنواع البدع ما كان اعتقادياً .

وازداد خط الانحراف في الانفراج إلى أن ظهر في المسلمين «أمية العلم والثقافة ، وأمие القراءة والكتابة» . . فجهل كثير من الناس دينهم وجزؤوه في حياتهم . . وساعد على ذلك الفكر الصوفي . . وظهر الفسق والفجور بقوة حتى صار هو الأصل ، وأصبح الذين يخافون الله ، فيحلون الحلال ويحرمون الحرام ، قلة لا يؤبه لهم . . أما مراكز العلم فقد سيطر عليها التقليد ، وابتعد العلماء عن الاهتمام بشؤون الأمة ، بل إن معظمهم فقد الشعور

بواجهه في هذا المجال ، وقبض على أزمة الحكم في أنحاء العالم الإسلامي رجال غير صالحين . . لا هم لهم إلا إشباع الشهوات !!
وحين وصلت أمتنا إلى حضيض الضعف والتخلف العقيدي والسلوكي والعلمي والحياتي . . ظهرت دول أوروبية على مسرح الحياة تملك علماً وصناعة وإدارة وقوة . . فاتجهت في أرجاء المعمورة . . ودخلت إلى معظم بلدان العالم الإسلامي . . استغلت أوروبا الاستعمارية ضعف المسلمين وتخلفهم وبدأت بضخ نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان وروجت لأفكارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . وأقصت بهدوء ما تبقى من الإسلام في أروقة القضاء . . وأبقت على «الأحوال الشخصية» . . وحين فعلت ذلك لم تجد مقاومة تذكر . . لأن المسلمين أنفسهم كانوا قد ابتعدوا عن العمل بالإسلام في حياتهم الفردية والأسرية وما إلى ذلك . وهكذا تمكن الغرب من فصل الدين عن الحياة تحت ستار «العلمانية» .

ويوم وقعت مأساة السقوط . . وهجم الأوروبيون يقتطعون أجزاء من جسم أمتنا . . استيقظ ناس صالحون وباشروا بالدعوة إلى

تحرير الأرض . . وإلى تحرير الفكر والتشريع من آثار الجهل الذاتي والهجمة الخارجية . . ونشبت معركة في طول العالم الإسلامي وعرضه . . تمكن من خلالها الدعاة أن يبرزوا كثيراً من حقائق الإسلام، وكان من أهم المصطلحات التي اهتمت بها الحركات الإسلامية ذات الطابع الشمولي مصطلح «الحاكمية» أو «توحيد التشريع»؛ فأظهرت أن الإسلام دين، والدولة جزء من الأنظمة التي شرعها لتحقيق العبودية وتحقيق مصالح العباد، وأنه لا يوجد أمر صغير أو كبير إلا والله تعالى فيه حكم، فالإسلام نظام حياة شامل كامل، ومقاليد الأمور ينبغي أن تنتزع من أيدي الطغاة المفسدين ليأخذها رجال صالحون مصلحون. واستطاعت الحركات الإسلامية أن تقيم الحجة على أن الأخذ ببعض الإسلام وترك البعض الآخر ضرب من الكفر ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون﴾.



من هذا العرض المكثف نسجل النتائج الآتية :

■ إن الحركات الإسلامية المعاصرة قدمت خدمات جليلة في مجال نصرته الإسلام وإعادة الثقة به على أنه سبيل الخلاص الوحيد للمسلمين في الدنيا والآخرة . وهذا يمثل جانباً أساسياً في التصور الاعتقادي .

■ ولكن الملاحظ على كثير من العاملين في حقل الدعوة ، سواء كانوا حركات أم أفراداً ، أن اهتمامهم بقضايا العقيدة ، يتصف بالجزئية ، أي أنهم يهتمون ببعض الجوانب وينسون أو يهملون جوانب أخرى ، وهذا باب من الضعف أو النقص نرجو أن يتدارك في وقت قريب ، وهذا يعني أن على الحركات أن تهتم بعقيدة أبنائها اهتماماً شمولياً ، فلا يصح أن تركز لهم على مسائل وتترك أخرى يأخذونها من البيئة أو ممن ليسوا مؤهلين لإعطاء عقيدة أهل السنة والجماعة . . وهذا الأمر - للأسف - فيه شيء من التهاون .

■ لذلك ندعو جميع العاملين إلى الاهتمام بقضايا العقيدة سواء كانت من باب «توحيد الربوبية» أو «توحيد الألوهية» أو «توحيد الأسماء والصفات» أو «توحيد الاتباع» أو «توحيد التشريع» أو غير ذلك مما يفرض علينا الإسلام معالجته .

والقضية ليست قضية تخصص . . وإنما على الجميع أن ينهضوا بواجب البيان والتعليم والدعوة حسب مقتضيات الظروف المحيطة ، بمعنى : إذا كنا في جماعة فهمت جانباً من العقيدة ولم ندرك بعد جوانب أخرى ، فإن الواجب يدعونا إلى توضيح الجوانب التي يجهلون بها مع ربطها بالفكرة الشمولية المتوازنة للإسلام .

■ والقول بأن إصلاح العقيدة هو أصل الإصلاح والتغيير يلزمنا جميعاً بالعمل على معرفة «العقيدة» معرفة تنجينا عند الله عز وجل ، ومن ثم تبليغها إلى الناس كما هي في القرآن والسنة . . والله ولي التوفيق .

درس في البراء والولاء

في صيف عام ١٩٧٩ ظهر للناس أن مجموعة الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين في سورية كانت وراء عدد من عمليات تصفية رموز وأدوات النظام الذي يحكم سورية باسم حزب البعث العربي الاشتراكي منذ ٨/٣/١٩٦٣!!

وحجة الذين سلكوا هذا الطريق أن نظام الحكم السوري يصادر الحريات، ويقمع الرأي الآخر بالحديد والنار، وأن هذا النظام قد سد جميع نوافذ التعبير والمشاركة في بناء البلاد وتطويرها، وأنه يعمل بإصرار على سلخ الأمة من هويتها، ويتوسل لتحقيق ذلك بتربية الناشئة على مبادئ حزب البعث الكافرة، وبإقامة التنظيمات

الشبابية المختلطة، وبمصادرة المراكز العلمية والتربوية وشغلها
بغير الأكفاء... الخ.

ورأت هذه المجموعة أن أسلوب جماعات الدعوة، وفي
مقدمتهم الإخوان المسلمون، لا يمكن أن يحقق أهداف الأمة في
التحرر من الاستبداد وما جره على العباد والبلاد من مفسدات وطامات
شملت جميع شعب الحياة الخاصة والعامة. وبدا لهذه المجموعة
أن الإرهاب البشع الذي تمارسه السلطة ينبغي أن يجابه بالقوة
وبالدعوة إلى الثورة.

وكان رد فعل الحكومة عنيفاً قاسياً شمل شيئاً فشيئاً جميع
الإسلاميين.. فامتألت السجون بآلاف المعتقلين، ومعظمهم لا
علاقة له بما حدث.. وغادر سورية آلاف وآلاف.. وسقط
برصاص السلطة سواء أثناء الصراع في الطرقات أو في السجون..
ما لا يعلم عدده إلا الله عز وجل. وهيات هجمة النظام السوري
على الإسلاميين جواً من التعاطف الشعبي، فالشعب في سورية
يثن من طغيان أجهزة الحكم وفساد الإدارة.

واحتدمت الساحة الإسلامية السورية بمختلف الآراء..

واندفعت مجموعات إلى الإعلان عن تضامنها مع فكرة مواجهة الحكم الاستبدادي . . وإن اختلف بعضهم مع عقلية وطريقة الطليعة المقاتلة . . وبعد مسلسل الاعتقالات الواسعة أعلن فصيل من الإخوان المسلمين الثورة ودعا إلى الإطاحة بالنظام . . واتسع بذلك نطاق المواجهة الساخنة .

ومنذ الأيام الأولى للصدام الذي تفجر، شعر الذين آثروا حمل السلاح في صراعهم مع نظام الحكم السوري أنهم بحاجة إلى تأمين ملجأ يأوي إليه الملاحقون، وإلى توفير مال ينفق منه على العمل المسلح، وإلى دعم سياسي وإعلامي، وإلى . . . وإلى . . .

ووقف هؤلاء أمام خيارين: الهروب من المواجهة المسلحة ومتطلباتها، أي إنهاء الصدام . أو اللعب على التناقضات المتأصلة بين أنظمة حكم المنطقة، أي التفاهم والتعاون معها بما يحقق أهدافاً مشتركة ويؤمن حاجات المواجهة مع النظام السوري .

وفتحت أفطار مجاورة أبوابها، وأوعزت إلى الأجهزة المختصة بمنح تسهيلات للإسلاميين اللاجئين إليها . . وتفاوت حجم

الاستقبال والتسهيلات من دولة إلى أخرى . . وكان النظام العراقي - توأم النظام السوري - في قمة من ربح بالإسلاميين السوريين .
وغدا العراق موئل كثير من الفئات السورية المعارضة التي توصلت إلى صيغة تحالفية جمعت الإخوان المسلمين بالجنح السوري القومي لحزب البعث العربي الاشتراكي ، باعتبارهما القوتين الرئيسيتين ، وإلى جانبهما قوى أقل قيمة وأهمية منهما ، وصدر عن التحالف الوطني لتحرير سورية ميثاق وأعلن عن قياداته .

وبخروج مجموعة من الإسلاميين إلى خارج سورية ، واضطراهم إلى البحث عن ملجأ وإمكانات مادية بدأت رحلة فكرية كانت جديدة بالنسبة إلى معظمهم . . طرْحاً وممارسة . . ولم تكن كذلك بالنسبة لآخرين ، وظهر في الساحة السورية قضايا جوهرية ، مثل :

- هل يصح أن تتعدد صور التعامل مع الباطل والمبطلين؟
- التحالفات السياسية . . هل تجوز شرعاً أم هي حرام؟
- المعنى الشرعي للجهاد . . ومتى يجوز الخروج على الحاكم ومتى يحرم؟ . . الخ .

ودار حوار ساخن داخل الصف الإسلامي تباينت فيه المواقف من جميع المسائل الفكرية المطروحة .

وشبيه بالذي وقع في سورية حدث في ليبيا . . حيث لجأت المعارضة الليبية في الخارج إلى تكوين تحالف بين عدد من تياراتها «جبهة الانقاذ» ، وانخرط في صفها بعض الإسلاميين . ورأت المعارضة الليبية ما رآته المعارضة السورية من وجوب الاستفادة من التناقضات الموجودة بين الأنظمة العربية . . فلجأت إلى مصر والسودان والمغرب . . فلما تغير اتجاه الرياح السياسية في هذه الأقطار لجأت المعارضة إلى العراق وتشاد وغيرهما . وعانى المسلمون الليبيون أزمة فكرية أسفرت عن نفس الصورة التي صار إليها من دخل تجربة اللعب على التناقضات السياسية المحلية من أبناء التيار الإسلامي في سورية .

إن التجربتين السورية والليبية غنيتان بالدروس والعبر . . وقد رسمت صورة عامة لهما في محاولة لتسجيل عدد من المسائل التي ينبغي أن تظهر في حياة الجماعات الإسلامية . . لئلا تتكرر حقيقة الأخطاء وإن اختلفت صور الممارسة . مع التأكيد على أن في

هاتين التجربتين دروساً ليس هنا محل التعرض إليها وتفصيل القول فيها . وعليه أقول :

■ نحن نؤمن أن استفراغ الجهد في العمل الجاد البصير من أجل تحقيق أهداف الإسلام في حياة البشر «فريضة ربانية» تحقق «ضرورة بشرية» يتطلع إليها العقلاء الأحرار من بني البشر؛ فالمسلمون مكلفون بإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور أديان البشر إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

■ ولكي نحقق أهداف الإسلام في حياة أمتنا، ونحمله نوراً نهدي به الحيارى من الأمم الأخرى . . فإننا في حاجة إلى معرفة «المنهج» الذي يوصل إلى الأهداف، وأن نستخدم الوسائل التي تسير بنا على طريق تحقيق ما نصبوا إليه . . فإذا وقع الخلل في تحديد «منهج العمل» أو في «فهمه» أو في «الالتزام بضوابطه ومقتضياته»، فإن الضياع محتم، وإذا كان الخطأ في الوسيلة فإن التخبط مفروض، أما إذا وقع الخلل في معرفة المنهج أو في

التعامل معه ، وفي الوسائل معاً فلا تسئل عن الدمار الفكري والنفسي والأخلاقي !! .

■ وإن العمل الإسلامي إذا لم يقيم على معرفة عميقة دقيقة بالواقع وبطريقة التحرك المناسبة لكل مرحلة . . فإن العاملين سيقعون لا محالة في براثن الجهل الذي يتستر بلباس العلم والوعي والمعاصرة والإقدام والشجاعة . . . ولا يخفى أن الجهل في شؤون الجماعات والشعوب قاتل مهلك للأخلاق والعزائم .
إن «الإجتهد» مطلوب لأنه حاجة بشرية . . ولكن لا يصح أن يدعيه من ليس له بأهل . . ولقد آن الأوان - بعد مسلسل التجارب الجاهلة - لكي تدرك الساحة الإسلامية أنها مسؤولة أمام الله عز وجل عن تتبعهم وتأخذ عنهم الرأي والمواقف .

بعد هذا التقديم أقول: لقد وقع في التجربتين السورية واللبنانية ما ينبغيء بأن هناك مشكلات مستعصية كامنة في «المنهج» وفي «الوسائل»، وسأتكلم في جانب من جوانب المشكلة تاركاً الحديث عن أمور أخرى إلى وقت آخر بإذن الله تعالى . وهذا الجانب يتعلق بالبراء والولاء . . وهي مسألة عقدية ينبغي الالتفات إليها والاهتمام

الكبير بها . . وخشية من الإطالة سأبرز نقاطاً من التجربة السورية لتبين من خلالها مواطن الخطأ في العمل بـ «البراء والولاء» مع التأكيد على أن التجربة الليبية لا تختلف عنها في الجوهر وإن كانت غيرها من حيث المظهر:

إن المسلم الذي تربي على «مفاصلة» الباطل، و«منازلة» المبطلين إيماناً منه بأن هذا هو الطريق الذي يرضي الله عز وجل . . ويحرر أمتنا من الفساد والانحراف والتخلف والتجزئة والضعف والهوان . . ويخلص أراضيها من دنس الغزاة . . ويفك قيود التبعية والاستغلال . . إن هذا المسلم قد وجد نفسه - أثناء وفي أعقاب المشكلة السورية - في تعامل مباشر مع أنظمة حكم عربية لا تقل عن النظام السوري ضللاً وقسوة وإرهاباً وتخلفاً . .

فما العمل؟

وكان التأويل حاضراً: إن المصلحة تقضي بأن نسكت عن باطل وممارسات هذه الأنظمة لأن هذه البلاد ليست بلادنا . . فنحن فيها ضيوف!! ولأننا في حاجة ماسة إلى مساعدتها ودعمها و . . .

و . . .

وينسى كثيرون - في غمرة المحنة - أن تلك الأنظمة تحاصر الالتزام الواعي بدين الله عز وجل ، بل إن فيها من يحظر أي نشاط ديني جماعي ، وفيها من يسمح بنوع سطحي من العمل الجماعي .. ويرفع شعار الإسلام .. بينما يسير بالعباد والبلاد على طريق التغريب و... و...!!.

وينسى كثيرون أن الإسلام لا يقبل لأبنائه «مداهنة» الطواغيت .. ولا يفرق بين طاغوت وطاغوت .. فقل لي بربك: كيف يقبل الإسلام من أبنائه أن يتخذوا المواقف التي تناسب نظام الحكم حيث يقيمون بسبب المصالح .. كالذي وقع في أزمة الخليج؟!.

إن أخطاء الإنسان تقود إلى مشكلات ، ولكن يتم تجاوز هذه المشكلات إذا لم يقع الإنسان في داء «فلسفة الخطأ» .. سواء فعل ذلك بوعي أم بجهل ، ففلسفة الخطأ تعد «كارثة» لأنها تزين الباطل وتعبث بالموازين.



إن هذه التجربة المرة تدفعنا إلى قول الآتي :

١ - ينبغي أن تكون الأسس الاعتقادية والفكرية واضحة في قلوب رجال الحركة الإسلامية . . ولا يتحقق هذا إلا بالعلم الشمولي بالإسلام ، والمعرفة الشمولية للواقع . . وإلا بإدراك سنن التغيير الاجتماعي ووسائله ، وهذا كله من البصيرة : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

٢ - فإذا عقل المسلم ما سبق فإنه يعلم أنه لا يجوز له بحال من الأحوال أن يأتي من الأعمال ما يجعله في وضع يقذف به على أبواب التأويل الذي يوقعه في تناقضات فكرية واختلال في العمل والسلوك . . وكل ذلك يفعله تحت عنوان «الضرورات تبيح المحظورات» ، ويظن أنه لم يتعد حدود الله عز وجل !!

٣ - إن الإسلام يدعو إلى الاجتهاد بضوابط النصوص . . ولا شك

أن الاجتهاد من أهله مقبول . . مع اعتقاد أنهم ليسوا معصومين . . وهؤلاء المؤهلون هم الذين ينالون أجراً أو أجرين . . إذا أخطأوا أو أصابوا . . أما الذين يتقدمون صفوف العمل الجماعي دون أهلية « فردية » أو « جماعية » فإنهم مسؤولون عن المهالك التي نزلت بجماعات إسلامية وعن المآزق التي يعاني منها آخرون !!

٤ - وإنه لمن دواعي الألم والحسرة أن يثور دعاة وشباب في بلد على ممارسات طاغوت . . فإذا خرجوا من ذلك البلد سكتوا عن ممارسات طاغوت آخر قد تكون أكثر فظاعة من أعمال طاغوت القطر الذي يتتمون إليه . . بل تبلغ المأساة قمته إذا اعتبر المسلم أن مأساة قطره هي التي تهمه !! . .

إن أمتنا اليوم تواجه حملة تشويه الفكر الإسلامي، وإن على الإسلاميين أن يدركوا هذا الأمر . . وأن يكونوا قادرين على العلم والفهم والعمل إذا أرادوا الخروج بأنفسهم وأمتهم من الظلمات

إلى النور . . وإن من أول خطوات هذا الطريق . . البراءة من
الظلم والظالمين . . وموالاته الإيمان والمؤمنين . وهذا يتطلب فقهاً
إيمانياً قادراً على معرفة تطبيقات هذا الأساس المتين «البراءة
والولاء» من أسس العقيدة الإسلامية عند التعامل مع الواقع
السياسي في أوضاع عالمنا الإسلامي في هذا العصر .

مسائل .. تحتاج إلى مراجعة

استقلال الموقف الإسلامي !

حين انفجرت أزمة الخليج في ٢/٨/١٩٩٠م، ساورني خوف شديد من انحياز رموز إسلامية، فردية وجماعية، إلى أحد طرفي النزاع العربيين. والباعث على الخوف حوادث الأيام التي شهدناها، فقد ألفت في روعنا أن كثيرين من أهل العلم ورجال الفكر ينطلقون في معالجة قضايا العصر ومشكلات الأمة من كم معلوماتي كبير، إلا أنهم عاجزون عن الربط بين معظم أجزاء علمهم، لأنهم يفتقرون إلى الرؤية الشمولية التي تضع أيديهم على نسبة النصوص بعضها إلى بعض، وتهبهم حسن الاستنباط، ومثل هؤلاء يتعاملون مع الواقع المحلي والعالمي بنفس الطريقة؛

فقد يكون في جعبتهم معلومات جيدة عن العالم والعصر، ولكن عجزهم عن الربط بين أجزاء هذه المعرفة يجعلهم فريسة الاستغراق العميق في أمور، ويفقدون رؤية ارتباطها بأمور أخرى، فهم لا يرون الصورة كاملة، ولذلك تأتي النتائج مؤلمة مزعجة مروعة!.

وهؤلاء الفضلاء يقعون - في كثير من الأحيان - في شباك أنظمة الحكم التي تلجأ إليهم وقت الحاجة لكي تجندهم في خندقها الذي تطلق منه قذائفها على خصومها من أبناء العمومة أو الجيران! ولقد آلمني، وآلم كثيرين من شباب ورجال أمتنا، أن نرى علماء أجلاء، ورموزاً إسلامية، يتحركون بحركة الأنظمة غير الإسلامية، ويخوضون معاركها المحلية والدولية عن طريق التصريحات أو الفتاوى التي تتناول، من مجموع صورة الواقع، الأجزاء التي يريدها النظام الذي يحكم بلدهم أو الذي يقدرون أن المصلحة في الوقوف إلى جانبه ضد نظام حكم آخر. ويتعد هؤلاء الفضلاء عن بيان دور نظام الحكم الذي ينصرونه في إثارة الأزمات العقيدية والأخلاقية والتشريعية والسياسية.. التي تعيشها أمتنا في

جميع أقطارها!!.

إنني كلما تأملت في مواقف عدد من أهل الفضل في مسائل الصراع بين الأقطار الإسلامية أسأل: متى يستقل موقف وتصرف كثير من الإسلاميين عن جواذب وضغوط الأوضاع الآسنة، وخاصة الرسمية منها؟!، و إلى متى سيقى رجال فضلاء وقوداً في صراعات الأهواء والنفوذ والشهوات؟! . إن الإسلاميين في حاجة ماسة إلى دراسة عقيدة «الولاء والبراء»، والالتزام الشجاع بتطبيقاتها المعاصرة على جميع المستويات.

* * *

من صاحب القرار في العمل؟!!

يوم احتدم الصراع بين إيران وبين العراق في أعقاب زوال حكم الشاه، كانت مصلحة حكومات دول الخليج مؤيدة للعراق في حربه مع إيران . وتحركت جهات إسلامية رسمية وشعبية مهرولة إلى ساحة المعركة وخاضتها في جانبها الفكري والعقيدي، وثار

زوبعة تندد بالنظام الإيراني وتركز على مذهبيته وخطرها على أهل السنة، وسكتت تلك الجهات عن بيان حقيقة النظام العراقي وممارساته وخطره على الإسلام والمسلمين، بل كان كثير منهم يتمنى أن ينتصر العراق على إيران!!.

وتوقف القتال بين الجارين، وبعد شهور أطل قرن فتنة جديدة في المنطقة، كان العراق أحد أطرافها، ومثلت دول الخليج الطرف الآخر، وانفجرت الأزمة واحتل العراق الكويت. وسارعت جهات إسلامية شيعية ورسمية إلى تأييد أحد طرفي النزاع!.

لماذا يا ترى دخلت شخصيات ومؤسسات وجماعات إسلامية في بوتقة الصراع مع أن أصل المشكلة هو النزاعات بين المصالح محلياً ودولياً؟!

وأستهل الجواب على هذا السؤال بسرد القصة الآتية: في لقاء مع مجموعة من الإسلاميين من أبناء الخليج - وكانت الحرب العراقية الإيرانية مستعرة - قال قائل منهم: يؤخذ عليكم عدم الوضوح في الموقف من الفكر الشيعي، ومن الحرب الدائرة، فما تعليلكم لتصرفكم هذا؟. ودار حوار صريح حول هذه القضايا

وغيرها، وكان من جملة المعاني التي ذكرناها:

■ إن الصراع الذي نشب في الخليج بعد رحيل شاه إيران كان منشؤه صراعاً على المصالح بين حكومات المنطقة، وليست الأزمة ناشئة عن الخلاف بين سنة وشيعة، فهذا الخلاف قد مضى عليه ما يقرب من ١٤٠٠ سنة، والفكر الشيعي ليس جديداً، وموقف أهل السنة منه واضح والحمد لله.

■ لذا دعونا إلى التفاهم والحوار بين أهل المنطقة على الرغم من تباين المذاهب، واختلاف الألسنة، وتناقض المصالح بسبب التقسيم الاقليمي الحالي، وهذا التفاهم هو الذي يحقق مصالح الجميع ويدفع خطر قوى شريرة تتربص بهذه المنطقة الدوائر، وتتطلع إلى إشعال حرب مذهبية تشغل المسلمين عن همومهم الكبرى، وتجعلهم جميعهم في موطن الحاجة إلى دعم تلك القوى سياسياً وعسكرياً، وتكون النتيجة المروعة أننا نقتل أنفسنا، ونهدم بيوتنا، وندمر حاضرنا، بأيدينا، ونسير بأرجلنا إلى مستقبل مظلم ذليل.

■ وتأخذ على كثير من الإسلاميين المخلصين دخولهم معارك غيرهم، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، وتعليلنا لذلك أن وسائل العصر الرهيبة تشيع بين الناس قضايا بقصد إثارة فئة لكي تتحرك في الاتجاه الذي يريده الحاكمون، بحيث يظن أولئك الطيبون أن حركتهم ذاتية، دفعهم إليها الواجب الشرعي والغيرة الدينية!، وهذا الذي حدث في الحرب العراقية الإيرانية، ويؤلمنا أن نقول: إن معظم الأقلام المشرعة والألسنة الناطقة الآن ستسكت حين يرغب حكام المنطقة في إنهاء المعركة السياسية وغيرها مع إيران.

■ إننا نريد للإسلاميين أن يتحركوا بقرار مستقل ينبع من رؤية شرعية مستوعبة لظروف العالم الذي نعيش ولشروط العصر. . ونأبى لهم أن يكونوا - واعين أم غير واعين - يبادق بأيدي الساسة المتربعين على صدر أمتنا ظلماً وعدواناً. ونحن نعلم أن هذا الاستقلال له ثمن، ونطالب الدعاة إلى الله عز وجل من علماء وحركات بدفع هذا الثمن من أجل أن يكون قرار العاملين بأيديهم، ويدون ذلك لن يحققوا برامجهم ولن يصلوا إلى أهدافهم.

وبعد حوارنا بشهور وقفت الحرب العراقية الإيرانية، وتوجهت سياسة المنطقة إلى التخفيف من حملات التشهير بإيران، ويقدر من الله تعالى اجتمعت بأحد الذين أشرت إليهم من أبناء الخليج وسألته: هل شعرت أن الحكومات تمنع الحديث عن إيران وفكر حكومتها؟! قال: هذا واضح كالشمس في وقت الظهيرة ليس دونها غمام! .

وأعود إلى أزمة الخليج فأقول: لقد اندفعت جهات إسلامية تهاجم النظام العراقي وتحدث عن فكره وممارساته . . ولا شك أن فكره وممارساته مرفوضة كل الرفض بمقاييس الإسلام العظيم . . ولكن السؤال الخطير: لِمَ لَمْ يُفْتِ المقتون فتاواهم، ولم يدبج أصحاب اللسان والبيان خطبهم ومقالاتهم في بيان حقيقة النظام العراقي قبل الأزمة الخليجية؟! .

إن حزب البعث العلماني القومي يحكم قطرين عربيين هامين، العراق وسورية، ويمارس في البلدين أقسى ألوان الاستبداد، ويصادر الفكر الإسلامي، ويحاصر الالتزام الواعي بدين الله عز وجل. ولكن الهجوم اليوم منصب على النظام العراقي دون سواه،

ونسأل الإسلاميين الذين يخوضون حرب الأنظمة وهم يوقنون أنهم
ينصرون دين الله : هل دول الخليج تتبنى الإسلام وتصدر عنه
وتطبق أحكامه؟ ، وهل تلك الأنظمة تختلف، من حيث جوهرها،
عن الأنظمة الأخرى في ممارساتها تجاه الشعوب وقضايا المسلمين
الكبرى؟

إني ليحزنني هذا الوضع الذي تعيشه فئات مؤثرة مقتدرة في
أمتنا، لأن القرار في خوضها معارك السياسة الرسمية يتخذه
أصحاب القرار السياسي في عالمنا وبلادنا . فمتى يملك هؤلاء
المخلصون قرارهم ويتعدون عن مناصرة فئة ومعاداة أخرى في
قضايا ليس للإسلام فيها نصيب؟ .

التسرع مرتعه وخيم

إن للشعارات الإسلامية تأثيراً عميقاً واسعاً في جماهير
المسلمين على الرغم من شيوع الغفلة عن حقائق الإسلام
والابتعاد عن الالتزام بشرائعه في حياتهم اليومية!! . فإذا ارتبطت

هذه الشعارات بالتحدي لقوى الظلم والطغيان الخارجية، كان التجاوب مضاعف الأثر. . وهذا الذي شهدناه في أزمة الخليج يوم رفع النظام العراقي البعثي الشعار الإسلامي! .

وكبرى الأزمات لا تكمن في تجاوب «العامّة» مع شعارات إسلامية يرفعها نظام حكم غير إسلامي في ظروف استثنائية يشعر فيها بحاجته إلى الخطاب الإسلامي، ولكن كبرى الطامات أن يندفع دعاة مثقفون وراء من يرفع الراية الإسلامية خاوية من مضمونها. . لأن واقع من يرفع هذه الراية بالأمس واليوم لا يدل على استجابة صادقة والتزام بدين الله عز وجل!

ومشكلة كثير من أهل العلم والمثقفين الإسلاميين تنبع من تعلقهم ببعض النصوص وإنزالها في غير موضعها، وكم كنت أتألم حين أسمع فريقاً من هؤلاء يؤكد على توبة النظام العراقي، ويرفض قول من يدعو إلى التعامل مع الحقائق وليس مع الشعارات، ويستشهد أولئك على صواب ما يفعلون بمثل حديث أسامة الذي رواه البخاري ومسلم ونصه «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقه من جهينة، فصبّحنا القوم على مياههم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار

رجلاً منهم، فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، فكفّ عنه الأنصاري، وطعته برمحي حتى قتله، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبي ﷺ، فقال لي: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً، فقال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟، فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم».

ومضت الأزمة الحادة، وظهر لكل ذي عينين أن النظام العراقي كان يرفع الشعار الإسلامي وهو غير مؤمن به، فهل يعي هذا الدرس رجال يحملون الهمّ الإسلامي لئلا تتكرر هذه المأساة مع أنظمة أخرى في قابل الأيام؟ وهل يتعظ بهذا المثل أولئك الذين يهادنون نظاماً أخرى تتمسح بالإسلام بينما تسير بالشعوب التي تحكمها إلى الجاهلية؟!



الإسلاميون والرأسماليون !! .

لا يخطيء المراقب لعلاقة الإسلاميين بالقوى السياسية الفاعلة في عالمنا الإسلامي أن يلاحظ ظاهرة تفاهم وتعاون عدد من فصائل الحركة الإسلامية وشخصياتها مع التيار الرأسمالي «اليميني»، سواء كان أصحابه حكاماً أم أحزاباً أم شخصيات لها تأثير ما، ويرى في المقابل ظاهرة التخاصم والمواجهة الساخنة بين عامة الإسلاميين وبين التيار الاشتراكي الرسمي والحزبي والشخصي !! .

والذين ينحون هذا المنحى يتفاوتون في تسويق ما يصنعون :

- ففيهم من يرى فساد وضلال الاتجاهين، ولكن الرأسماليين يعترفون للدين بوجود ما، بينما يكفر الاشتراكيون بالقيم الدينية .
- وفيهم من يؤمن أن الأنظمة الرأسمالية أقرب في طبيعتها إلى الإسلام من الأنظمة الاشتراكية ! .
- وفيهم من يقول : ليس من الحكمة أن ندخل في صراع مع

كافة الخصوم، ومن الحنكة المطلوبة أن نستفيد من التناقض الموجود بين القوى السياسية المختلفة، وتسخير ذلك لصالح الدعوة، ولا بأس من مهادنة فريق والتعاون معه ضد فريق آخر أكثر منه سوءاً! .

- وفيهم من يفهم من قوله تعالى في سورة الروم ﴿ غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ﴾ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴿ أن الصراع الذي كان قائماً بين الشرق الاشتراكي الملحد والغرب الرأسمالي النصراني شبيه بالصراع بين الروم النصارى وبين الفرس المجوس!! . وقد عبر أحد الدعاة عن طبيعة هذه النظرة فذكر في مجلة كان يشرف على تحريرها أنه عاتب موظفاً كبيراً في سفارة أمريكا، لأنها تفرق في المعاملة بين قطره وبين إسرائيل، وذكر له أن على أمريكا أن تعلم أننا معهم على طول الخط في مواجهة الإلحاد العالمي، لأننا نعتبرهم أهل كتاب!! .

- وفيهم .. وفيهم ..

إن هذه الظاهرة تدعو إلى مراجعة دقيقة واعية مستوعبة لأصول فهمنا لواقع أمتنا وواقع عالمنا والعصر الذي نعيش فيه . . لأن نسبة عالية من الدعاة ما يزالون عملياً غير شاعرين أن الغرب الرأسمالي هو الذي قهرنا في عقر دارنا، وهو الذي فرض في أمتنا نظرفته إلى الحياة والأحياء، فمزق بذلك إنساننا وشلّ كثيراً من طاقاتنا، وهو الذي قطع أوصال بلادنا وما يزال مصراً على تمزيقنا، وهو الذي انتزع منا فلسطيننا ووهبها لليهود، ويسعى اليوم ليرغمنا على توقيع موافيق الذل والهزيمة والاستسلام، وهو الذي يصر على أن نبقي مصدراً للمواد الخام التي يحتاجها . . ويأخذها بأبخس الأثمان، وسوقاً لما تنتجه مصانعه . . ونأخذها بأبهظ الأسعار!!، وهو . . . وهو . . .

أما أصحاب الاتجاه الغربي الرأسمالي من أبناء أمتنا . . فإنهم يشكلون قاعدة متقدمة للغرب داخل حصوننا، بعث بنا عن طريقهم، ويحقق ما يريد بأيديهم . . أما حقيقة هؤلاء المتغربين: العقلية والنفسية والخلقية والسلوكية والاجتماعية والسياسية . . فإنها

بعيدة كل البعد عن الإسلام العظيم . . ومع ذلك فإنهم يجدون -
سواء كانوا حكاماً أم أرباب مال - من العلماء والدعاة من يشي
عليهم ويمدح عطاءهم !!
وأقتل داء رؤية المرء ظالماً

يسيء ويُتلى في المحافل حمده

فيا معشر الذين خاضوا - باسم الإسلام - معركة الرأسمالية ضد
الإشتراكية في ماضيات الأيام ، وكانوا سيوفاً مرهفة بأيدي حكام
ظالمين منحلين . . انظروا إلى ما يقترفه المتغربون في أمتنا ، وإلى
ما يصنعه الغرب ولي أمرهم الفكري والسياسي والاقتصادي بنا
وبأرضنا وثرواتنا ، وأعيدوا النظر في طريقة دراستكم لإسلامكم ،
وراجعوا قراءة واقعكم وواقع أمتكم لتروا من هو العدو ، ثم انظروا
إلى القيود النفسية والخلقية والنفعية التي كبلكم بها الحكام
الرأسماليون في عدد من أقطار بلادنا . . فشلوا حركتكم وقتلوا
حريتكم وعبثوا بكرامتكم ، ولقد آن الأوان لتحرير العمل
الإسلامي والعاملين من قيود الحرير . . فاستقلال العاملين أول

شرط من شروط النصر، ولقد آن الأوان لتمييز الموقف الإسلامي
عن مواقف الظالمين والمنحرفين والعابثين . . فالتمييز بالإسلام
صفة ينبغي الإصرار على التحلي بها إذا أردنا سلامة الطريق .